

إِحْمَدُ عَرِيْسُ أَوْشَاطِرُ لُعْبَةُ عَسَلٍ عَارِغِيْفُو (١)

ويختتم الحفل بالكثير من الزغاريد وبعدها تترك الحرية للنساء ليتمتعن بما يروق لهن من الاغاني الاخرى التي يمدحن فيها اريحية المضيف وشجاعة اقربائهن . ثم يقدم الطعام وبعده السجائر والشاي والقهوة للرجال ، والشاي للنساء وينتهي الاحتفال .

ان الجوانب السابقة هي الجوانب المشرقة للصورة . ومن اجل المقابلة نلتفت الى الجانب المظلم فنقول ان كل من يستمع الى النساء وهن ينحن او يعولن لا يسعه الا ان يتأثر بما يسمع ، واذا اتيح له ان يشاهدهن وهن يلطنن الخدود وينتفن الشعر ويشققن الجيوب ويحثون التراب على الرؤوس فانه سيصاب بصدمة مؤلمة دون شك .

ويلاحظ في بعض الاماكن ان امرأة او امرأتين من محترفات البكائيات تبدآن النواح واتفتين في وسط دائرة من النساء النادبات تحت ظل شجرة في حقل واسع او في قاعة واسعة في بيت الفقيد حيث تأخذان بالندب والطم بينما ترد عليهما بقية النسوة من اهل الفقيد واقاربه واصدقائه . وفي اماكن اخرى تتولى قيادة مثل هذه البكائيات اقرب نساء الفقيد كزوجته وبناته واخواته . . . الخ . والموضوع الرئيسي في البكائيات هو الثناء على الفقيد والعطف والشفقة على الاطفال الصغار الذين تركهم وراءه .

وتبدأ البكائيات بالحن حزينة رخوة تعرف باسم « التناويح » (٢) ولكن العواطف لا تلبث حتى تكسر قيود التواضع والوقار فتتسارع نبضات الاغنية مصحوبة بصرخات حادة شديدة الشبه بالنباح بالاضافة الى زعيق بين حين وآخر يقشعر له شعر الراس (٣) .

وبالاضافة الى لطم الخدود فان النائحات كثيرا ما ينتفن شعرهن ويلتقن بأنفسهن من جانب الى جانب ، وفي بعض البكائيات يقفزن الى اعلى والى اسفل في جنون حزنهن . والفقيد يحظى بالمدح دائما فيغض النظر عن كافة عيوبه وتمجد كل محاسنه (٤) . ومما يزيد في

١ - انظر ايضا النصوص ، ص ٢٤٩

٢ - انظر الارقام ١ - ٦ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٤ .

٣ - انظر رقم ٧ - ٨ ، ص ٢٢٤ .

٤ - انظر الارقام ١٦، ١٧، ١٨ ، ص ٢٢٥ ، ورقم ٢٤، ٢٣ ، ص ٢٣٥ .